إشكالية الخطيئة أو سقوط الإنسان في عصرنا*

الأرشمندريت د. غريغوريوس باباتوماس
معهد "سان سارج" للاّهوت الأرثوذكسيّ في باريس – جامعة البلمند
ترجمه عن الفرنسيّة: السيّدة ناي عطيّة–يوسف

أنا سعيد اليوم، ليس فقط لوجودي بينكم بل لوجودي أيضا علىأرض عزيزة على قلبي وعلى قلب الكثيرين. إنها أرض أعطت قديسين كثر. لذا رغبت منذ الطفولة بالمجيء إلى لبنان. إنها زيارتي الأولى إلى هنا، زيارة إجلال للأرض التي وهبتنا القديس يوحنا الدمشقي الذي هو شفيع كلية اللاهوت في البلمند. أرض أنطاكية هذه أعطتنا قديسًا آخر هو يوحنا الذهبي الفم. بطريركية الشرق هذه كما نسميها باللغة القانونية هي كنيسة بطريركية محلية، كنيسة قديمة قدمت شهادة مسيحية عبر العصور، شهادة عن الحقيقة، شهادة عن الخبرة المعاشة في الكنيسة. هذا مختصر ما شعرت به وانتظرته خلال عشرين عامًا قبل مجيئي إلى هنا. لذا أشكركم جداً على هذه الدعوة.

لقد دُعيت اليوم للتحدث عن مسألة حساسة جداً. انها مسألة تطالنا مباشرة. أودّ تقديم الموضوع قبل الدخول في صلبه. إنّنا دائماً نتساءل عن الخطيئةِ والموت اللذين يضعان الجسم الكنسي دائما في وضع حرج. بكلام آخر، ودائماً في إطار لاهوتي، إذا أردنا أن "نستعلم"، إذا صح التعبير، على الجسم الكنسي لمكان ما، يجب أن نطرح سؤالين عامين: كيف يواجه هذا الجسم مسألة الخطيئة ومسألة الموت؟ اليوم، وإنطلاقاً من الموضوع المطروح، سنتكلم على الوجه الأول من هذا السيف ذي الحدين، سنتحدث قليلاً عن المسألتين وسنترك الشق الثاني لمرة أخرى أو لمحاضر آخر قد تدعونه للحديث عنه. المفتاح لهاتين المسألتين الوجوديتين الكبيرتين أو لمشكلتي الحياة هاتين، هو شخص المسيح. بكلام آخر يجب البحث في هاتين المسألتين إنطلاقاً من شخص المسيح.

(*) حديث روحي ألقاه الأرشمندريت باباتوماس في قاعة البتلوني – مستشفى الروم بالفرنسية بتاريخ ٢٠٠٢/٢/٢٥.

هنا يمكننا حقاً أن نجد طرف الخيط لنتمكن من الخروج من المأزق الذي يفرضه علينا الواقع الانساني في عصرنا هذا. للدخول إذا في صلب الموضوع سأستعين بمختارات لقدّيس عاش غير بعيد من هنا على جبل سيناء بالتحديد، في دير القدّيسة كاترينا. إن القدّيس غريغوريوس السينائي هو قدّيس من القرن الخامس عشر. وللدقة التاريخية فقط أقول إن تاريخ وفاته يتطابق مع فترة سقوط القسطنطينية. لقد قال جملة أثّرت فيّ كثيراً وأعطتني بالحقيقة دفعاً للبحث ولاختيار موضوع اليوم. تقول هذه الجملة" إذا لم ندرك في أية حالة خلقنا الله، لن ندرك أبداً ما فعلت الخطيئة بنا" (P.G.,150,1253).

إنطلاقاً من هذا التساؤل، أقترح أن نتخذ منهجاً يكون لنا بمثابة حلّ او توجّه، إذا أردتم، فنبدأ بالنظر أولاً إلى خلق العالم أي إلى حالة الإنسان قبل السقوط، لنفهم في ما بعد ما التغيير الذي طرأ بعد الخطيئة الجدّية، أي السقوط. ومن ثم ننظر الى الحالة القائمة والتي تتحكّم بنا اليوم. لقد اخترت بعض النقاط التي ستساعدنا على تتّبع المراحل التاريخية لهذه الحالة. ستكتشفون من خلال قصة قصيرة، الرؤية الآبائية للأمور. إنّها تتلخص في ثلاثة مقاطع، اخترتها لكم، وتحتوي على كلّ النقاط التي نبني عليها نظرتنا للموضوع وهذا سيساعدنا على توضيح الإشكالية بطريقة بسيطة ومفهومة من الجميع لكنها في الوقت نفسه تتطرق الى النقاط الأساسية للمسألة في يومنا الحاضر. بكلام مختصر يقول لنا القديس غريغوريوس السينائي إن الإنسان وبحكم طبيعته له خاصية أساسية: انه يمتلك طبعاً حرارة ما ، إلا أنه لا يستطيع أن يجدّدها باستمرار وإذا فقدها فهو لا يستطيع استرجاعها بنفسه. بكلام آخر إذا بقي الإنسان تحت تأثير البرد فسيفقد حرارته شيئاً فشيئاً فيتجمد ويموت إلاّ إذا تدخل عامل خارجي أي إذا تلقى المساعدة وجدد حرارته بواسطة مصدر أي وجود خارجي، مختلف، غير ذاته. هذا ما يحدث مثلاً إذا اقترب من النار أو تعرّض للشمس. هناك بين هذين الوجودين (وجود الإنسان من جهة ووجود النار من جهة أخرى) اختلاف في الطبيعة، فأحدهما يمتلك الحرارة (مخلوق) بينما الآخر هو الحرارة بذاتها (غير مخلوق).

إنه يقدم لنا هنا خصائص اللقاء، العلاقة أو الاتصال بين الإنسان وهذا المصدر المذكور. وهو "مصدر وجودي".إلاّ أن منحى هذه الرؤية لا ينتهي هنا. لنفترض إذاً، أنه يوجد في غرفة مصدر حرارة، كالمدفأة مثلا التي تعمل دون انقطاع، في مكان ما من الغرفة، وقرب الباب يقف رجل وامرأة. إنهما يشعران بتأثير الحرارة حتى قبل أن يقتربا

من النار: هذا يعني أنهما أصبحا منذ الآن على اتصال بمصدر الحرارة وأنهما يتشاركان بالطاقة التي يمنحها ويتحدان بما يمتلكه هذا المصدر جوهرياً وهو الحرارة المستمرة، اللامتناهية والتي لا يمتلكانها أصلاً في ذاتيهما. لكن ، تُطرح هنا مسألة حرية الارادة البشرية. في الواقع، الإنسان يستطيع أن يتقبّل أو يرفض بكل حرية هذه العلاقة. إليه فقط يعود قرار الاقتراب أو الابتعاد عن النار. فإذا رفض هذان الشخصان، الرجل والمرأة، هذه العلاقة مع مصدر الحرارة لأنهما مثلاً يعتبران أن حرارتهما لا تواجه أي خطر أو لأنهما اغتمّا لعدم امتلاكها ما يمتلكه المصدر وابتعدا وفتحا باب الغرفة وخرجا، سيواجهان في الخارج مشكلة غياب المصدر. الحرارة منخفضة جداً. فيمرض هذان الشخصان للمرة الأولى، يفسد جسداهما ويتلف وعندما ينجبان الأطفال فإنهما ينجبانهم خارجاً وينقلان لهم ما يحملانه، أي الإرث الجيني المريض. طبيعة الحياة خارج الغرفة تستتبع معها إذاً، لا العبودية والتلف فحسب، بل العبثية والظلم.

عرضت عليكم حتى الآن كل المفاهيم الآبائية، كي أرسم لكم هذه الطريق الصغيرة المقسمة الى مراحل ثلاث تنطبق على ما عشناه بالحقيقة في الإنجيل.

فاذا كنّا الآن نستبدل النار بالله والغرفة بالجنة والمرض بالتلف والموت أعتقد حينها أن مثلنا يَتَوضَّح بطريقة كافية (بالرغم من كل النواقص التي يفترضها كل مَثَل). كيف تنظر الكنيسة الأرثوذكسية الى حالة ما قبل السقوط، والخطيئة الجدية، ثم إلى السقوط وإلى الواقع الإنساني بعد السقوط؟

أرجو أن لا يكون هذا المثل المذكور صعب الفهم، بما أنه يعيدنا مباشرة الى ما نعرفه أصلاً من خلال التكوين والعهد القديم، ويحتوي على الجوانب الثلاث التي نبغي شرحها هنا.

ما نعرفه هو ان الإنسان في المثل الذي كان في الغرفة أي في الجنة كان على اتصال بالمصدر مع انه كان كائنا آخر، وجوداً مختلفاً بالنسبة إليه، أي إلى المصدر الذي هو الله، مصدر حياته، ومن حيث يستمد وجوده. كانت هذه الخصوصية الأولى للحالة التي كانت قبل سقوط الإنسان. من المهم هنا أن نشير إلى أن وجود الإنسان منذ البداية كان في موقع ديناميكي مع خالقه أي مع الله نفسه. فلم يكن هناك أي تشويش. الإنسان منذ البداية، بعد خلقه مباشرة كان حراً أي أنه كان كائناً مختلفاً عن الله الآب. هذا ما

هو مهم هنا، إذ إن هذا العنصر يلخص كامل الإشكالية الآبائية ويعطي الجواب على المسألة التي نعالجها هنا.

النقطة الثانية التي نجدها في هذا المثل، هي أن الإنسان الهيولي يحصل على الحرارة في حين أن الله أي "المصدر" هو الحرارة بذاته. إذاً، فالنقطة الثانية هي التي تتحكم بالعلاقات والاتصال بين الله والإنسان. لهاتين النقطتين أهمية كبيرة لمتابعة ما سبق وما سيلي وفهمه. إذًا كما تتذكرون، الإنسان، أي الرجل والمرأة، كانا في الجنة وكانا اصلاً على علاقة مع الله، الخالق بطريقة لا نعرفها فعلا، بما ان الوجود الانساني كان مختلفاً قبل السقوط، عن وجودنا اليوم، إلاّ أننا نعلم جيداً أنهما حين كانا في الغرفة، كانا يشعران أصلاً بحرارتها حتى لو لم يكونا قريبين أو في شركة كاملة معه.

هناك عنصر آخر يتعلق بالحرية التي ذكرناها الآن. المسالة التي يطرحها التكوين هي في الواقع أن الله نفسه هو الذي منح إمكانية حرية تقرير المصير الإنساني. كان هناك خيار بين النعم واللا، وبكلام آخر خيار البقاء في الغرفة ، "الجنة"، او الخروج. أودّ هنا أن أستطرد لأطرح سؤالاً يتعلّق مباشرة بالآباء والأمهات. إنه سؤال يطرحه آباء الكنيسة على أنفسهم: هل كان الله نفسه لا يعلم بما سيحدث في ما بعد؟ ألم يكن الله يستطيع أن يتوقع أن الإنسان سيختار بحريته الخروج من الجنة؟ الجواب واضح. نعم كان يعلم. ويعلمه جيدا. إلاّ أن تفكيرنا العقلاني يؤدي بنا إلى سؤال آخر: لماذا لم يمنع الله إذاً هذين الشخصين البشريين من الخروج من الجنة؟ آباء الكنيسة يقولون إنه كان يعلم هذا جيدا، يعلم ما سيختار الإنسان فيما بعد، إلاأنه تركه حرّ الاختيار والتصرّف وهذه هي الحرية الحقيقية. بكلام آخر فإن الله منذ البداية حتى النهاية، اعتبر الإنسان كائناً مختلفاً، في اللغة اللاهوتية، كائناً مغايراً له، فتركه حرّاً بالكلية.

إذا كان يعلم، وكان يأمل أنه، مع كون الإنسان حرّاً، سيتمكن يوماً، في بعده عنه، أي خارج الغرفة والمدفأة، أن يشعر بما فعله بالحقيقة، وبالتالي أن يشعر بما ينقصه بشكل خاص فيعبر عن شوقه للعودة نحو هذا الشخص الذي كان مصدره الوجودي. هنا مفتاح الجواب لسؤالنا عن الخطيئة والسقوط الانساني. لماذا ربطتُ هذا بالأب والأم في العائلة؟ لأن الأهل، آباءً وامهات، عندهم نزعة الى التحكّم بحرية أولادهم. لذلك لا يسمحون للولد بالتصرف بل يتمنّون ان ينقلوا له افكارهم ونظرتهم للامور. آباء الكنيسة يستعملون هذا القياس على

جدلية علاقة البشر فيما بينهم وفيما بين الله والإنسان، كمثل للآباء لكي يعلموا أنهم لكونهم آباء فهم يتحمّلون مسؤوليةً تجاه أولادهم، إلاّ أن هناك الله الذي يحكم، من وراءهم ومعهم، هو الذي يرى ويراقب حياة الاولاد، لأنهم هم أيضاً، كآبائهم، مخلوقين.

ليس من داع إذًا للخوف أو الجزع. وخاصة، وهنا يكمن الإشكال اللاهوتي، لا يجب إلغاء حرية الاطفال. أعود إلى سؤال طرحته فلسفة القرن التاسع عشر في الغرب، على اللاهوت الكنسي: إذا كانت إحدى صفات الله أنه كامل القدرة، فهل يمكنه صنع حجر كبير لدرجة انه لا يستطيع هو نفسه ان يرفعه فيما بعد؟

إذا أجبنا بنعم أي أن بإمكانه صنع هذا الحجر بما أنه كامل القدرة، فكيف لا يمكنه فيما بعد رفعه؟ إذ لا يمكننا حينها تعريفه بكامل القدرة. أما إذا أجبنا منذ البداية بأن الله لا يمكنه صنع حجر كهذا، فهذا يعني أنه ليس كامل القدرة. وكان دوستويفسكي هو الذي أجاب على هذا التساؤل. هذا الفيلسوف المتأثر باللاهوت، أجاب: نعم، الله يمكنه صنع حجر كبير لدرجة لا يمكنه رفعه. فما هو هذا الحجر؟

إنه حرية الإنسان! إن هذا هو بالضبط الحجر الكبير الذي خلقه الله و لم يستطع فيما بعد سحبه.

من جهة أخرى، ما زلنا نرى العواقب المنصفة لابتعاد الإنسان. الإنسان كان في مكان نسميه "الجنة"، "الحديقة" حيث كان هناك الكثير من الأشياء الجميلة. إلاّ أن هذا المكان كان جميلاً لسبب واحد وهو وجود الله. وبكلام آخر، ولنعود للمثل الأساسي إن السبب هو وجود المدفأة، مصدر الحرارة الحقيقية التي كانت تحيي الإنسان. الإنسان اعتقد إنه أن ابتعد قد يمكنه فعل شيء آخر. وهنا بالضبط يبدأ إغراء الحرية.

إلاّ أن هذه الحرية تتلازم مع الشركة: الشركة مع أشخاص آخرين. نتساءل دائماً، إذا كنا الى جانب الحرية التي نملكها نهائيا، التي نملكها منذ الآن، سنخلق جسوراً مع الأشخاص الآخرين، سنخلق شركة معهم. في هذه الحالة، ألن نفقد حريتنا؟ هذه هي التجربة التي يتعرض لها كل إنسان، وهنا المشكلة الكبرى التي تطرأ، وهي أن الغالبية الكبرى أو جزءاً كبيراً من الأشخاص سيفضلون البقاء أحراراً دون الدخول في شركة مع الاخرين. جزء كبير آخر يشعر بحاجة إلى هذه الشركة، لكنه لا يتمنى أن يفقد هذه الحرية. إلاّ أننا إن أردنا أن نخلق شركة، فنحن مدعوون إلى العيش في الشركة. وعندما

نتكلّم عن شركة قد نعني بهذا مثلاً الزواج، أو الحياة الرهبانية ربما في إطار دير شركة وهنا أشدّد على كلمة شركة لأنه في الدير كما نقول إذا عاش أحدهم وحده بعد أن يكون قد طرد الرهبان الآخرين فهذا لا يمثل حياة الشركة.

في هذا الإطار، نقترب أو نتوجّه نحو الشركة، إلاّ أننا لسنا مستعدين "للتضحية" بحريتنا، معتبرين الحرية كملجأ نحمي فيه "الأنا"، الـ "ego" كما نقول باليونانية، أي الكائن الذي يريد أن يكون مستقلاً بالكامل عن كل كائن آخر. إلاّ أنه لا يعود للشخص وجود إذا ما اتجه نحو الشركة وفقد الحرية.

المفارقة هي أنه عبر هذه الشركة نجد أيضا الحرية المفقودة. لا أريد أن أتوقف عند هذه النقطة، إلاّ أنني أريد أن أقول ما قاله القديس غريغوريوس النيصصي مرة : "ما هو مهم بالنسبة لنا هو الحرية. لكن عن أية حرية نتكلّم هنا؟ في حالة الإنسان الذي اختار الخروج من الغرفة، من الجنة، نتكلّم عن حرية سلبية. لماذا؟ لأن الحرية الإيجابية كانت تقتضي بقاءه قرب المصدر الذي كان يغذي الإنسان وينيره. فالقديس غريغوريوس فرّق بين الحرية الايجابية والحرية السلبية. هو يعتبر الحرية الايجابية فقط حريةً حقيقية. سأعطي مثلاً. وهومثل عادي جداً من حياتنا اليومية لنفهم ما معنى الحرية الايجابية والحرية السلبية.

أتحدث عن حالة الانتحار: كلٌّ منا حرّ أن يفعل ما يريد في الحياة، فإذا اختار أحدهم الانتحار فهو لأنه لا يعرف الحرية لأنه لا يستطيع أن يقول إنني حر وأستطيع أن أفعل كلّ ما أريد لذا سأضع نهاية لحياتي. هذه حرية سلبية وفي هذا المعنى، الإنسان ليس حراً بالحقيقة.

نعود إلى مثلنا: اختار الإنسان الخروج من الغرفة(خرج من الجنة). وبالحقيقة عندما خرج، فهو فعلياً قد رفض كلّ علاقة له مع مصدره الوجودي. كان حرًا أن يفعل ذلك، لذلك قام به وخرج. هنا أيضاً يوجد وجه مهم جداً لحياتنا، كي نستطيع أن نفهم ما سيلي.

في الخارج، يلتقي بالبرد؛ برد قارس، الخ... هنا يجب أن نقول شيئاً مهماً بالنسبة لنا. نتلمس إيماننا أحياناً ونعيش الخير والشر، بحسب النظرية المانوية. وبكلام آخر، نعتبر أن الإنسان عندما خرج، كان القصاص بانتظاره؛ كان الجزاء لما فعله. نحن، عندما نرفض إمكانية الشركة، فما يتبع هو غياب الشخص، غياب ما كان معطىً لنا أو ما كان

سيُعطى لنا كإمكانية وجودية. تتذكرون منارة الإسكندرية التي حدثنا عنها التاريخ على أنها كانت تنير السبيل للكثير من الاشخاص والبحارين. إن هذا ما فقده الإنسان، حسّه بغياب الشخص.

إذاً، يُملى علينا، عنصر أخير لانهاء تحليل هذه القصة الصغيرة. نهج الحياة خارج الشركة حمل معه الاستلاب كما حمل معه الفساد. مما يعني أن الإنسان بابتعاده عن الله، تحمّل النتائج التي ظهرت فيما بعد. ما هو غريب هو أن آدم وحواء لم تتبيّن معهما تلك النتائج مباشرةً، بل مع الحدث الذي نعرفه كلنا. انه حين هاجم قايين هابيل وقتله. إذ أن أول نتيجة للخطيئة الاولى، للسقوط، كان الموت، وهذا لم يكن واضحاً في القصة بأي شكل من الأشكال. فلا نستطيع أن نفهم مباشرة ما يتبع. عندما رأى آدم وحواء هابيل ميتاً، وهذا كان شيئاً جديداً بالنسبة لهم، لم يفهما ما حدث. لكن بداعي الحب، بما أنّ الاهل يحبون أولادهم كثيراً، حاولوا ابقاءه معهم، كما يفعل المصريون بالمومياء. إلاّ أن هناك مشكلة: الفساد الذي يطرأ على الشخص أو الجسم الانساني عندما يصبح الإنسان ميتاً. ومن كان محبوباً حتى هذا الحين، يصبح لدينا تجاهه حاجة إلى إبعاده. ما سبّباه بالنسبة لله، تحمّلاه فابتعدا عن أولادهما اللذين أحبّاهما جداً. هنا بالضبط تصبح النتيجة واضحةً للإنسان. لذا قلتُ لكم في البداية إن الخطيئة ثم الموت هما عنصران يُظهران جيداً المسألة التي نتكلّم عنها أي سقوط الإنسان. هذان عنصران متلازمان . هذا العنصر يؤثّر أيضاً وبطريقة عميقة على كل الجماعات الكنسية عبر القرون وعلى جماعاتنا الكنسية اليوم.

هنا أتمنى أن نبحث قليلاً في هذه النتيجة وفيما يليها. فالإنسان يتخذ منذ ذلك الحين مسلكاً مستقلاً وبكلام آخر يسلك طريقاً مسدوداً وهذا مستمر منذ زمن.

منذ عهد آدم، عمد الإنسان إلى عدة تفسيرات، الى عدة جهود ليواجه مسألة الخطيئة. عندما نقول "خطيئة"، فهذا يعني نتيجة "لقضية الموت" التي تبقى دون حل. فبالرغم من المجهود الكبير، فشل الإنسان في هذا الاتجاه لأنه لم يستطع أن يعطي أيّ إجابة أو حلّ لهذه المسألة. وفي هذا الاطار نفهم ظهور عدة ديانات، ديانات ما زالت حتى يومنا هذا. فنحن بالحقيقة ورثنا اليوم ماض عرف عدة ديانات. فالديانة في هذه الحال، ليست سوى محاولة لفهم هذا الحدث المذكور، لمساعدتنا على مواجهته وايجاد

الحلول له. في الواقع، ما زالت هذه الديانات تتزايد، مما يظهر جيداً أن الإنسان وجد نفسه غير قادر وحده على ايجاد جواب لهذا السؤال.

وفي هذا الإطار، يأتي تجسد المسيح. يجب القول، إن الله نفسه، الخالق، قد رأى أن الإنسان يبحث خارجاً عنه، وبدونه، عن حل وقد بحث عنه بطرق كثيرة و لم يجده. يكفي ان نتمكن من دراسة أدب العصور القديمة ونتعمق فيها حتى نرى كيف بحث الإنسان وطرح الأسئلة دون إيجاد الأجوبة. الفلسفة هي الاولى التي حاولت إيجاد أجوبة وجودية. إلاّ أنه بعد تجسد المسيح، سلكنا طريقةٌ أخرى لرؤية الامور، منطلقاً آخر.

بكلام آخر، فإن مفتاح الإجابة على مسألة الخطيئة وحالة الإنسان هذه، كما قلنا منذ البداية، هي شخص المسيح. نحتاج إلى توضيح صغير سأشرحه عبر خبرة يعيشها أشخاص كثر: عندما أدخل الكنيسة ، هناك أمر يستوقفني كثيرا: أرى أشخاصاً كثيرين غير فرحين. لماذا يجب أن يكونوا فرحين؟ لأنه خلال القداس الإلهي يظهر شخص المسيح بشركة كاملة معنا، وهو هنا متجسد ليخرجنا من المأزق، ليعيدنا إلى المدفأة الاصلية. القداس الالهي بالنسبة لنا ليس مجرد حدث يمكنه أن يبعد عنا كل ما يزعجنا، حتى الخطايا. هناك أشخاص حولنا يقون منغلقين على أنفسهم ولا يحاولون أن يروا ما يجري في هذا الحدث المميز في حياتنا.

هذه مسألة المشاركة والاقتراب من الإعلان المُتجسّد للمسيح. هؤلاء الأشخاص لا يقون متجهين في الاتجاه الذي دعانا يسوع المسيح الى اتباعه. تتذكرون أن كل الفترة الفصحية التي سنعيّدها قريباً، هي فترة تظهر أصل المشكلة. نحن مدعوّون إلى تتبع الطريق الفصحي الذي رسمه لنا الإله المتجسد دون أن نعطي الاولية للخطايا، لأن ليس هذا هو المطلوب بل هو تحول عن المحور الأساسي.

طريق الحياة الآبائية التي تعلمناها من خلال خبرة الكنيسة تعرف ما معنى الخطيئة. ليس للخطيئة الأهميّة أو القوة نفسها التي كانت لها قبل تجسد المسيح وخاصة قبل قيامته.

لنبدأ مثلاً بأصل الكلمة. كلمة ἁμαρτία (hamartia) باليونانية تعني أنني أقوم بمجهود لأتلمس الهدف الذي هو أمامي. بالتالي فان الفعل ἁμαρτάνω (hamartanô).

يعني إنني اقوم بمجهود وأنني بالحقيقة فشلت إلاّ أنني لا أبقى في حالة الفشل. أعيد المحاولة وأقوم بمجهود ثان وثالث ورابع. كم مرة يمكنني أن أفعل؟ يسوع المسيح يقول لنا ٧٧ وليس فقط ٧!

فإن مفهوم الخطيئة يصبح نسبياً في ضوء المفهوم الفصحي والقيامة. أي أنني أقف أمام الله وأقول له: لقد قمت بألف مجهود وفشلت. حينها، وفجأة، كل ما كان وكل ما شكّل معضلة للانسان الى حين تجسد المسيح، وهو وما نسميه الآن خطيئة، لا يعود له أية قيمة حاسمة، إذا أردتم، في تحديد حياتنا.

هنا أيضا يمكننا أن نقول إن هناك مشكلة صغيرة. حتى الآن لمسنا طريق الديانات وقلنا إنها بالواقع، فشلت. حديثاً، هناك طريق جديدة ظهرت وهي الطريق العلمية. هذه أيضاً مسؤوليتنا، نحن الاكليريكيين أو من اضطلع بالأبوة الروحية. في الواقع، عندما يتوجه الأشخاص الموجودون في الكنيسة نحو الكهنة في إطار الاعتراف فانهم يتوجهون نحوهم شاعرين بالذنب. قد يكون نظام الحياة او نظام القواعد الاجتماعية، أو كما تريدون، هي التي تتطلب تصرفاً معيناً، في إطار القواعد العامة. داخل المجتمع، حتى الأهل مثلاً يتصرفون دائماً بذلك الشكل نحو أطفالهم: فعلت هذا؟ لمَ فعلته؟ هل أنت ولد جيد؟ كلا لست ولداً جيدًا.

هل ترون الآلية التي تظهر مباشرة؟ لا يجب أن تكون سيئاً، يجب أن تكون جيدا بأي ثمن. ما معنى "جيد" أو "سيء"؟ بحسب أي معيار؟ ما هو الأساس الديني لهذه المانوية؟ وعي هذه الحالة الدرامية، يخلق شعوراً بالذنب، وحاجة الى طب نفسي أو إلى عالم نفس. لذا استطيع القول وبصراحة إننا نحن الكهنة تسببنا في كثير من الاحيان على توجيه أشخاص كثر إلى علماء أو أطباء نفس. لماذا؟ لأننا لم نستطع أن نقدّم الطابع الوجودي أو بالأحرى التجاوز الوجودي والكنسي الذي فرضته مآزق الحياة أو الخطيئة أو الموت على الإنسان المعاصر وهذا ما ينتظره كل شخص منا و لم نستطع نحن أن نستجيب لتوقعاته. ماذا فعلنا؟ قدمنا أو بالأحرى غذّينا طابعاً مانوياً للحياة. الارشمندريت صفروني يلاحظ هنا شيئاً مهماً جداً: "أن نطوّر في ذاتنا القدرة على التمييز أصعب بكثير من أن نضع القواعد. عيب القواعد الثابتة هي أنها ترضي ضمائر الذين يستطيعون اتباعها بدقة". الطابع العملي القانوني المموه بظاهر كنسي يعمل على حساب الجسم الكنسي. فكانت النتيجة أن تخلّى الأشخاص عن مبدأ الأبوّة الروحية

واتجهوا نحو طرق أخرى وجدوها فعالة أكثر، أو إذا اردتم بطريقة أخرى، إنسانية أكثر، وعلى كل حال أقرب إليهم. وهنا مشكلة خاصة جداً، لذا تصبح مسألة الخطيئة مسألة دقيقة. في أيامنا هذه، يجب قول الحقيقة ، وهنا أعبر بالأحرى عن حقيقة اليونان حيث ولدت. إذ لا نجد أشخاصاً كثيرين يذهبون إلى الاعتراف. وأقول أحياناً في نفسي: هذا أفضل. كما أن الناس لا يذهبون أيضاً إلى علماء أو أطباء النفس. أتكلم عن الحقيقة اليونانية وهي ليست أبداً حقيقة أوروبا الغربية. أقول أن هذا أفضل لأنني ألاحظ هنا ردة فعل قويمة لشعب قد يكون ما زال أورثوذكسياً حقاً ولذلك يصر على أن يجد في الكنيسة ما يريده وعندما لا يجده لا يقترب.

كي اختم، اريد ان اقدم مثلين، كي نتوسع أكثر في مقاربتنا لأن هذه مسألة واسعة ودقيقة جدا.

المثل الاول: تتذكرون ما حدث عندما سأل الله آدم: "آدم، آدم، ماذا فعلت؟ لماذا أكلت من الثمر؟ فأجاب: كلا، ليس أنا، لم آكل بإرادتي، إنها امرأتي التي أعطتني" مما يعني:" لست أنا المسؤول عن هذا بل حواء". نلاحظ هنا انتقالاً، انتقال المسؤولية الشخصية. هذا مهم جداً بالنسبة لنا. فالخطيئة تبدأ فعلاً هنا. بكلام آخر، إنه انتقال يسعى إلى اتّهام الآخر من جهة، ومن جهة أخرى، هذا يعني إنه أن كانت حواء هي المسؤولة، فبالتالي " أنت أيضاً، الإله الذي خلق المرأة". يلتفت الله نحو حواء الواقفة بقرب آدم ويسألها السؤال نفسه: "حواء، لماذا أكلت ؟". فتجيب بالطريقة نفسها... لقد تعلّمت من أستاذ جيد، زوجها الواقف بقربها: "إن الحية أغوتني... لست أنا إذا بل الأفعى هي المسؤولة" وبالتالي:"أنت، الله الذي خلق الأفعى". وهكذا كما ترون جيداً، هناك فجأة انتقال بالتسلسل، يُظهر جيداً الغياب الفاضح للنضج الروحي.

فإذا أمكنكم تمييز التفكير السائد في جماعاتنا الكنسية تلاحظون هذا الشيء بسهولة.

المثل الثاني: إنه مثل يوضح الاتجاه المعاكس تماماً. هناك كتاب بعنوان Γεροντικόν هو كناية عن أقوال الآباء الشيوخ، يتحدث عن خبراتهم النسكية والرهبانية. يوصلنا المثل هنا الى كمال المسؤولية التي كانت تنقص آدم. يحدثنا هذا الكتاب عن راهبين في مصر ذهبا من طيبة في الاسكندرية لشراء أغراض لديرهما. أمضيا عدة أيام لشراء الأغراض ولقاء بعض

الأشخاص، في الاسكندرية، ولربح الوقت كان الراهبان يفترقان في النهار فيتقاسمان الأعمال ويقومان بها ويلتقيان ليلاً ليناقشا ما تبقى لفعله في اليوم التالي وهكذا دواليك. في وقت ما، في نهاية فترة إقامتهما هناك، قال أحدهما عندما عاد مساءً إلى الراهب الآخر: "هل تعلم، لقد أنهينا تقريباً كل أعمالنا، أما أنا فلن أعود للدير". قال له الاخر:"لماذا؟" فأجاب الأول: "لانني قمت بشيء فظيع جداً." ويسأله الآخر:"مثلا؟" "– لقد جُرّبت وكان لي علاقة جنسية بإمراة، وبما انني راهب لا استطيع ان اعود الى الدير، لانه اولا لن يقبلوا بي، ثم ان ما فعلته لا يتماشى مع كوني راهباً. وأيضاً لأن رئيس الدير سيثور بشدة بسبب خطيئتي". فجأة، يجيب الآخر بالطريقة التالية التي تظهر الحكمة والحب والنضوج الروحي الذي تكلمنا عنه سابقاً والذي ينقص المسيحيّين اليوم:" هل تعلم، كنت سأقول لك انني فعلت الشيء نفسه الا ان هذا لن يمنعني عن العودة بالرغم من ذلك إلى الدير". تشجع الاخر وقال:"لكن ماذا سنفعل؟" فاجابه الاخر: لا تقلق، سأذهب أولاً للتحدث إلى الأب الرئيس وسأقول له أولاً ماذا فعلت، ثم تدخل أنت، ثانياً، كي تقول له ما فعلت". عند وصولهم إلى الدير، طلب الاثنان مقابلة الأب الرئيس. الأول الذي لم يفعل شيئاً، اخترع قصة خيالية رواها على انها حقيقية. مما أثار الأب الرئيس فأعطاه قانون توبة لمدة ستة أشهر. فقال الراهب:"لقد فعلت ذلك وأنا أتحمل المسؤولية!" وخرج. دخل الراهب الثاني وقال عملياً الشيء نفسه وردّ الأب الرئيس بالطريقة نفسها. مرّ الوقت: شهر، اثنان، ثلاثة ، أربعة ..ستة.. ولقي الراهبان القانون ذاته للفعل نفسه الذي اقترفاه. هنا بالذات، كما يروي الـ Γεροντικόν ، يجد الله وسيلة تكشف للأب الرئيس إنه قام بعمل غير عادل، بما أن راهباً واحداً روى ما فعله حقاً وليس الآخر، وجد الأب هذا غريباً جداً. فدعا الراهبين. وهنا واجه الأب الرئيس حقيقة لم يكن يتصوّرها، كان الراهب الذي لم يفعل شيئا يصر ويقول:"بل أنا أيضاً فعلت ما رويته لك". وكان يدعي أنه قام به حتى بعد كشف الحقيقة، كي يتحمّل خطيئة الأخ الآخر حتى النهاية. كي يساعده وينقذه. هذا هو النضج الروحي وهذا بالحقيقة ما ساعده. علمت فيما بعد الأخوية كلها بما حصل ولا تتخيلون مدى الفرحة التي شعرتْ بها بسبب هذا الحدث: إن أخاً قد أنقذ.

بالنسبة لنا، بالإضافة إلى هذه القضية التي قُدّمت لنا بطريقة آبائية، هناك خطوة اخرى تعرضها علينا الكنيسة، وهي حمل خطايا الآخر. وهذا بالضبط ما فعله يسوع

المسيح من أجلنا. بهذه الطريقة الآبائية، نحن مدعوون أن نتتبع هذا السبيل الصعب جدا والذي سيبقى سبيلنا جميعاً حتى يوم القيامة. أشكركم كثيراً.

الاسئلة:

– شكراً أبتي على هذا العرض، ولقد أحببت كثيراً مثَل القديس غريغوريوس السينائي. لكن لكي أتعمق أكثر في عرضكم، إذ تكلمتم سريعاً عن مقاربة قانونية وتطرقتم إلى مثل اليونان. أودّ أن أقول لكم أنه في بلدنا، هذا الواقع منتشر كثيراً بين المسيحيين الارثوذكس. لا أعلم إن كانت هذه تربية متأثرة بالكاثوليك من جهة وبمقاربتهم للخطيئة، من حيث النظر إلى عدد الخطايا، أو إلى التوجيه الروحي من جهة اخرى. نواجه هذا كثيراً وخاصة في تربية الشباب. لا أعلم ان كان هذا وقتاً مناسباً، إلا إنني أودّ أن أسألكم التحدّث قليلاً عن المقاربة الارثوذكسية لفكرة الخطيئة كما ينظر إليها الناس هنا، وعن المقاربة التي تكلمتم عنها لشخصية المسيح وأخيراً عن علاقة الشركة مع الاخرين.

أشكرك جداً لهذا السؤال. في الحقيقة ننظر لله أحياناً على أنه قاض صارم، أي إننا عندما نفعل شيئاً، نقترف خطيئة، الخ... يجب أن ننتظر القصاص. وقد ذكرت قبل قليل فكرة "عقدة الذنب" التي تميز الكثير من المسيحيين بشكل عام. نستطيع بسهولة أن نفهم أن مثل الغرفة الذي ذكر سابقاً، يعرض في إطار المفهوم الآبائي الارثوذكسي، عدة ثوابت في المغامرة الأصلية، والتي كانت، حديثاً، موضوع تأويلات متعدّدة، وهي وأن كانت غريبة عن الروح الأرثوذكسية، إلا أنها غذت، بالمعنى اللاهوتي، أجيال القرون الاخيرة. تأويلات كهذه قدمت الله على إنه قاضٍ صارم يسعى قبل كل شيء إلى فرض قوانينه، واعتبرت نتائج سقوط الإنسان على أنه جزاء فرضه إله مُنتقم، وتدعم الاعتقاد بأن أولاد آدم يرثون ذنبه وأنهم لهذا يتحمّلون بدورهم جزائهم العادل. إلاّ أن الله ليس بقاض كما أن القوانين المقدسة ليست موجودة لتحاكم أو حتى لتجازي الإنسان الذي هو في حالة السقوط... عندما يكون لدينا نظرة قانونية للخطيئة، ونمارس الاعتراف انطلاقاً من هذه النظرة، نسمع أشياء غريبة. لقد اختبرت هذا وأستطيع أن أقدم أمثلة: هناك أشخاص يأتون ويعترفون بشيء، ثم في النهاية يقولون:"أليس هناك جزاء قانوني (قانون توبة) لي؟" فأقول:"كلا، ليس بالضرورة، لم قانون التوبة؟" – "وكيف لا؟ لقد

فعلت الكثير من الأشياء". فأقول:"كلا، الله، المسيح، يتقبلك كما أنت، وهو يسامحك". فيذهب وهو غير سعيد أبداً، لانه كان يتوقع جزاء، كان ينتظر عقاباً قانونياً وهذا بسبب فكرة الذنب العمياء. بكلام آخر، هناك صلة بين الشعور بالذنب والعقاب القانوني، كما نقول دائماً. وهكذا، بعد العقاب، نطمئن. في هذه الحالة، العقاب القانوني لا يحرّر الأشخاص بل يبقيهم في عبودية ل"قانونية الاعتراف". أريد أن أكرر هنا الكلمة التي ذكرتها سابقاً للأب صفروني: " أن نطور في ذاتنا القدرة على التمييز أصعب بكثير من أن نضع القواعد. عيب القواعد الثابتة هي انها ترضي ضمائر الذين يستطيعون اتباعها بدقة". الذهنية واضحة، لقد ذكرتموها في سؤالكم. 'إذا لم نتبع القواعد والقوانين، يجب أن نُعاقب." إنه فخ كبير لا يستهان به. إذا، يمكنني أن أقول هنا، إنها مسألة تأتينا من الكنيسة الكاثوليكية كما قلتم، أي أن القانون يحمل مقاربة، لها وجه انساني. الإنسان سعيد عندما يفعل شيئاً ويقول إنه أسعد في ما بعد عندما يُعاقب. هكذا تسير الامور على الصعيد الانساني إلا أن يسوع المسيح لم يتبنّ هذه الذهنية. تتذكّرون عندما قدم الفريسيون إلى يسوع المسيح امراة زانية، فأجابهم:"من منكم بلا خطيئة فليعاقبها." فذهب الجميع. في ما بعد قال للمرأة:"وانا أيضاً لا أحكم عليك". كانت هذه هي الفكرة. شخص المسيح أعطانا هذه الامكانية، هذه القدرة. بالتالي فإن تكون أباً روحياً أو مسيحياً أو ابناً روحياً، هناك دائماً مجازفة وهي مجازفة الحرية...إذا لم تكن هناك مجازفة الحرية، لم يكن هناك نضج روحي...

– بشكل عام، يشدّد الخطاب الروحي للكنيسة الارثوذكسية على فكرة الخطيئة وأننا جميعاً خطأة وأن هذه الفكرة قد تضع حجر عثرة كبيراً على عاتقنا فتمنعنا عن التصرّف كرجل حر، كولد حر. هذا يحرمنا من حريتنا الكاملة. هل ترون أن هناك خطابا آخر في الكنيسة الارثوذكسية، يشدّد أكثر على الحرية التي تدفعنا إلى العمل، إلى اتّخاذ المبادرات، إلى الخلق ، بدل أن نشعر دائماً أننا نعمل الحسنات بدافع التكفير وليس بدافع الانجاز والخلق؟

سأعطي مرة أخرى مثلاً تحديدياً قد يصدمكم بعض الشيء. إلاّ أن هذا سيعطي أهمية أكبر لسؤالك. هناك مثلاً رهباناً، ولحسن الحظ ليسوا كثر، ذهبوا إلى الدير للبقاء والعيش هناك، وليعملوا، كما يقال، على خلاص نفوسهم، فتوصلوا إلى الانتحار. لماذا؟ حسناً، والحق يقال، لأنهم بقوا في المأزق الوجودي. أي أن اللاهوت الذي كانوا

يعيشونه، الأخوية الرهبانية التي عاشوا بينها، أو الخبرة التي كانت لهم، لم تساعدهم كثيراً على الوصول إلى الحرية التي منحهم اياها المسيح. المسألة التي نعالجها اليوم لها إذا عدة انعكاسات، عدة اوجه، وليست مسألة سهلة فعلاً. فلنقل إنه لا يجب أن نقاربها بطريقة تبسيطية: نقول عادة، نحن خطأة ، لكن هذا ليس خطيراً.. أو انه بعد قيامة المسيح، كل شيء على ما يرام، فإن نور القيامة مهم أيضاً...الخ... هذا أيضاً يظهر عدم النضح من نقطة إنطلاق أخرى. إن مثلاً قد يكون مفيدا هنا. التريودي بدأ. انها الكنيسة هنا التي تعطينا الامثلة. ومن المهمّ جداً ان نتعرّف كل أحد إلى الشخصيّة المقدمة في الانجيل. لدينا، من أحد زكا، إلى أحد الارثوذكسية، الابن الضال، الفريسي والعشار، الخ... كل هذه الشخصيات تظهر لنا، وتعطينا نماذج وتقول لنا، إذا أردتم الاقتراب من الله، فهو في الكنيسة، اقتربوا منه كما هو. أنتم، البشر، كما أنتم. ماذا فعل الفريسي؟ من المهم أن نفهم. أنه يقترب، يدخل الكنيسة، ونرى جيداً أنه يقترب من الله كأنه إله مُنتقم، فيتكلّم معه، وهذه هي الصلاة... أنه يتوجّه إلى الله كأنه يقول له: أنت ترى أنني أقوم بأشياء حسنة: أصلي، أصوم...أنه يريد أن يكون جيداً.. وهذا مفهوم اخلاقي...لقد حاول أن يظهر نوع من الميزة التي كانت فيه، كما كان يراها هو. قال أيضاً انني لست كهذا العشار الرهيب، الذي يستأهل الجحيم، أما أنا فأمامك فماذا تريد مني أيضاً؟ لا ينقصني سوى هالة القداسة، اليس كذلك، هذه كانت غايته. فيما قال الاخر، انا لست بشيء؛ في حياتي، لم أقم بشيء، حياتي كلها كانت مشينة. الضال كان يائساً إلاّ أنه تمسك بأخر أمل لحياته مع الرب، أمام يسوع المسيح. لهذا فإن هذه الجملة هي رجاء المسيحي: "ضع قلبك في الجحيم ولا تيأس" (القديس سلوان الاثوسي). بكلام آخر، ضاع كل شيء، لم أفعل شيئاً في حياتي، أنا نكرة من الصباح حتى المساء. هذه هي الفكرة إذاً، أو بالأحرى طرف الخيط، وليس الفكرة، لان هذا ليس بنظرية بل تطبيق يومي. في كل جنازة، خلال الخدمة ، نقول، وكل الناس يعرفون هذا، وهي صلاة الكنيسة لكل إنسان:"لانه ليس إنسان يحيا ولا يخطأ". ففي هذا الاتجاه تشدّد الكنيسة، وفي هذه الفترة بالذات التي تبدأ بأحد التريودي والتي تستمر حتى أحد الارثوذكسية. في ما بعد، خلال الصوم الكبير، تعرض الكنيسة أيضاً شخصيات كالقديس غريغوريوس بالاماس، وكذلك القديسة مريم المصرية. لماذا؟ قبل الصوم تقدم شخصيات عادية وخلال الصوم تقدم قديسين لتظهر لنا أنهم كلهم، أشخاص مثلنا، بضعفاتهم،

بسقطاتهم واخفاقاتهم، إلاّ أنهم وجدوا طرف الخيط، وجدوا امكانية عبور المأزق الذي يفرضه علينا واقع الحياة الانسانية. هذه هي الفكرة والوجهة التي ستوصلنا الى شخص المسيح يوم القيامة في الفصح.

كيف نستطيع أن نواجه المشاكل المعاصرة، التي تبعد الشباب عن الكنيسة إذا كان الآباء الروحيين الذين يلجأون إليهم يعاملونهم بطريقة تشعرهم أنهم مذنبون دون أن يفهموا الاسباب التي تؤدي بهم إلى الخطيئة؟ من يستطيع أن يظهر الصورة الحقيقية للمسيح وعمله ليساعد الناس على الخلاص من الخطيئة؟ ما الفرق بين الذنب والحالة التي يعيش فيها الإنسان بعد السقوط؟

إنها الشيء نفسه. لهذا نحن بحاجة في الكنيسة إلى آباء روحيّين واقعيين بالدرجة الاولى. سأعطيكم مثلاً: امراة يونانية في الستين من عمرها، تسكن في باريس، خضعت لعملية خطيرة في القلب، ويظهر أنها كانت تعاني من مرض استثنائي. قبل العملية قال لها الطبيب أنه يتوقّع نسبة ٥٠ بالمائة لنجاح العملية، ووعدها بأن يقوم بكل ما بوسعه من أجلها. أضافت المراة:"إنّما لستَ لوحدك، فالمسيح سيكون معك". عندما سمع اسم المسيح، بدأ الطبيب بضحكة خافتة. وقد اخبرتني أنه ملحد. وبعد ذلك، بدأ يتهكم بطريقة سلبية. وقال لها:"نعم، المسيح، كان جيداً، إنما ما لديكم من كهنة الآن، لا أعتقد أنهم جيّدون". فاجابت:"لحسن الحظ إن الله لم يبعث لنا بالملائكة، بل بكهنة ليسوا بالمستوى الذي تطلبه أنت، بل بضعفات وسقطات بشريّة". "لماذا؟". "لأنهم لو كانوا ملائكة، لا أعلم كيف كنا سنحتملهم، أما آباؤنا الروحيّون بخطاياهم، يمكنهم أن يفهمونا وهذا يساعدنا كثيراً. كما ترون، امراة أميّة، لم تذهب حتى إلى المدرسة الابتدائية، كيف أنها أجابت حسناً. أعطت جواباً لاهوتياً تطرق إلى صلب المشكلة. الا أن هذا يتطلّب منّا جميعاً احساساً خاصاً، واعتقد، برأي، أن موقعنا وخبرتنا بالنسبة للخطيئة والموت تخسر كثيراً في المجتمع الذي نعيش فيه ، لكن يكفي أن نكون واعين لهذه الحقيقة. أولا واعين ثم واقعيين وليس سابحين في الغيوم.

أشكركم على هذه المحادثة الشيقة والودية التي أثّرت فينا جميعاً. أودّ أن أعود إلى السؤال الذي طرح علينا أولاً فيما يختصّ بالخطيئة، وبجزاء الخطيئة، والذي أجبتم عليه بقولكم إن نظرتنا هي بشكل عام بشرية ولذلك عندما نأتي لنعترف، لأن الأساقفة أيضاً

يعترفون، حتى الكهنة يعترفون لأنهم بحاجة لذلك، لانهم بحاجة ليكون لهم خطايا، تُغفَر لهم من قبل السيد، فيدخلوا في شركة كاملة مع الجماعة نفسها التي يخدمونها؛ لكنكم تحدثتم عن الجزاء الذي من دونه لا يشعر البعض إن اعترافهم كان جيداً. اعتقد إننا لا نشدّد كفاية على الحب، أليس كذلك، حب المسيح، لان المراة الزانية، قال لها السيد إنه غفر لها الكثير لانها أحبت كثيراً. لقد شدّد كثيراً على هذا. لا أعلم إن كان من الممكن أن تساعدونا قليلاً بان تقولوا لنا كيف يمكننا ان نُدخل مفهوم الحب في صلب الاعتراف الذي قد يصبح حينها أسهل بعض الشيء.

يسعدني كثيراً أن أسمع ما قلتموه للتو، إن الأساقفة يعترفون، وهذا يعطينا رجاء كبيراً على مثال تلك السيدة في باريس التي قالت ان هذا يشجعنا ان الكهنة يقومون بما نتمنّى أن يقوموا به. هذا أولاً. الشيء الثاني هو إنني عندما تحدّثت عن شخص المسيح في البداية كان في الحقيقة في إطار فكرة المحبة، أي أن ينظر كل إنسان إلى شخص المسيح. هذه هي النظرة، التوجّه، الهدف. الهدف الذي هو بالنسبة لنا جميعاً الشركة، إنه شخص المسيح المتجسّد، الذي اتّخذ جسداً، كي نستطيع أن نراه ونلمسه. لذلك أقول أحياناً خلال المحاضرات أو الوعظات في الكنيسة جملة قد تصدم: ليس لدينا علاقة روحية مع المسيح، بالتالي لا علاقة إيديولوجية، مثالية، أو أخرى... الكنيسة تعرض علينا علاقة جسمانية، جسدية مع الله – وهذا بشرياً يبدو لنا مشين– ومع يسوع المسيح الذي يبقى هو غاية حياتنا وتوجهنا. نقوم بهذا بالمحبّة، أي انه منذ أن شعرنا أن كل ما صنعه من أجلنا كان بالمحبة، من أجل المحبة، وإذا شعرنا بذلك، نصبح فيما بعد مجانين المسيح، وهؤلاء هم مجانين المسيح ، الذين يحدّثنا عنهم الكثير من الآباء. أخيراً، على مستوى العلاقة بين الاب والابن الروحي، مجازفة المحبة موجودة دائماً ومستحبة. لا أجد صوتاً غير صوت الحب، لكن الحب المصلوب، الذي وحده، يقود إلى القيامة!

Le Péché ou la Chute de l'Homme et la Problématique à notre Epoque

Archimandrite Dr. Grigorios Papathomas
Institut St. Serge de Théologie Orthodoxe, Paris - Université de Balamand

Le péché ou la chute de l'homme constitue une partie principale de la problématique et du développement herméneutiques ultérieurs de la patristique. C'est une question qui touche toutes les générations humaines et arrive jusqu'au seuil de notre époque. En effet, les Pères de l'Eglise trouvent dans cet incident historique une clef herméneutique unique pour faire référence à:

- la "communion divino-humaine" (dialectique créé-incréé) avant la chute de l'homme,

- la rupture ontologique de cette communion à cause de la chute voulue de l'homme, et enfin,

- à ce qui suit ces deux événements, à savoir, la réconciliation à travers le Christ incarné, crucifié et ressuscité.

Le ton de cette approche a été donné par Saint Grégoire le Sinaïte qui dit laconiquement que "si nous ne savons pas dans quel état Dieu nous a faits, nous ne pouvons jamais savoir ce que le péché a fait de nous". Cette expérience patristique vécue se propose comme piste préalable pour arriver à la problématique de notre époque. Une problématique qui demeure délicate, parfois ambivalente, au moment où l'orientation du corps ecclésial christique devrait plutôt mettre consciemment l'accent sur la personne du Christ ainsi que sur la révélation de la Communion avec l'Autre.